www.tipsclub.net
منتديات المكتبة العربية
Rajol
حصريا

الله محبَّةٌ (قصة قصيرة)

إحسان عبدالقدوس

"متبوعة بتعليق نقدي"

كان كل شيء بينهما يبدو طبيعيا ، كما يبدو بين كل فتى وفتاة .. وليس فيه شذوذ . ولا غرابة . ولا ينذر بمأساة ..

كان شقيقا لإحدى صديقاتها ، وكانت تراه دائما كلما رأت شقيقته . ثم أصبحت ترى شقيقته كلما رأته ، ثم أصبحت تراه دون أن ترى شقيقته ! ..

وإذا بها في شوق دائم إليه .. إلى وجهه الأسمر في لون البن المحروق .. وعينيه السوداوين الذكيتين ، وقامته المديدة كأنه فرعون صغير ، ولم يكن يميزه عن فرعون إلا أدبه الكثير ، وصوته الخفيض ، وكلماته التي ينطقها ببطء كأنه ينتزعها من بئر عميقة ، وينطقها بلهجة صعيدية يحرص

www.alkottob.com

عليها رغم أنه لا يزور الصعيد إلا في كل عام مرة أو مرتين ليجمع محصول أرضه ..

وإذا بها تعيش دائما معه ، في ذكرى لفتاته ولمساته وابتساماته النادرة . وإذا بها تضحك كلما تذكرت لهجته الصعيدية ، ثم تقلده فيها حتى كادت هي الأخرى تنطق بها .

وعندما التقت شفتاها بشفتيه لأول مرة ، عرفت أنها تحبه .. وإن لم تعرف إلى أي حد يمكن أن تحبه ..

ولم تكن في شك من أنه يحبها .. إنها تقرأ الحب في عينيه ، وتشربه من شفتيه ، وتسمعه مع أنفاسه ..

إنها تحبه .. ولكن إلى أين ؟ ..

إلى أين هذا الحب ؟!!..

وحاولت أن تهرب من مستقبلها .. حاولت أن تهرب من الحقيقة التي تجاهلتها منذ أن رأته ومنذ أن أحبته ..

إنه قبطي ..

وهي مسلمة ..

www.alkottob.com

ومضت بها الأيام في عذاب ، وذبلت عيناها تحت ثقل دموعها ، وذوى عودها حتى كأنها تجف ، وسقطت سحابة فوق وجهها فبدت كأنها تعيش دائما في سحاب .. وكانت تراه فترى دموعها في عينيه ، وترى كأنه مع عودها في سباق نحو الجفاف ، وتراه يعيش معها في سحاب .. كانت تعلم أنه يتعذب مثل عذابها ، وأكثر ..

وبرغم ذلك لم يواجها الحقيقة ..

لم يقل لها إلى أين .. ولم تسأله إلى أين ..

ولكنها لم تستطع أن تهرب طويلا من تساؤلها ، ولا من مستقبلها .. كانت كلما ضم شفتيه إلى شفتيها سمعت دقا كأنه دق دفوف الزفاف وكلما أراحت رأسها على صدره أحست أنها في (الكوشة) وكلما رأته آتيا نحوها من بعيد خيل إليها أن الملائكة ينتشرون من حولها : (مبروك عليك عريسك الخفة)!!

وكان يجب أن تبحث عن حل .. عن نهاية يستقر عندها حبها .. وبدأ تفكيرها يتخذ خطوطا عملية .. إنه يستطيع أن يشهر إسلامه .. ويستطيع بعد ذلك أن يتزوجها ..

www.alkottob.com

إنها مجرد شكليات .. أن يذهب إلى المحكمة الشرعية ويقول أمام القاضي : (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) .. ثم يصحبها بعد ذلك إلى المأذون !..

واستراحت إلى هذا التفكير ، وقررت أن تدفعه إليه ..

وكأنهما كانا على موعد .. فلم يكد يلتقي بها ويسحب شفتيه من فوق شفتيها ، حتى قال بصوته الخفيض وكأنه ينزع كلماته من بئر عميقة :

- لقد فكرت طويلا .. يجب أن ننتهي إلى حل ..

قالت وكأنها تزغرد :

- هل تشهر إسلامك ؟!

وصمت طويلا وكأن شفتيه الرقيقتين قد اختفتا من وجهه ، وعادت تقول وقد انهارت فرحتها :

- إنك لا تريد .. لا تريد أن تتزوجني .

وتحركت شفتاه ببطء ..

- لي سؤال واحد ..

www.alkottob.com

- ماذا ؟ ..

- هل لو طلبت منك أن تخرجي عن دينك .. تخرجين ؟

وأجابت فورا ، وكأنها لم تفكر ، ولا تريد أن تفكر :

- نعم .

وابتسمت ، أو حاولت أن تبتسم ، واختارت أحد وجهي قطعة النقود ، واختار هو الوجه الآخر ، ثم وضع قطعة النقود في يدها قائلا :

- اقذفي بها في الهواء .. والوجه الذي يسقط إلى أعلى يغير صاحبه دينه !!..

وحاولت مرة أخرى أن تبتسم ، ولكنها لم تستطع ووجمت ، وأحست أنها مقدمة لتسير فوق الصراط المستقيم .. وعندما قذفت بقطعة النقود في الهواء أحست أنها تقذف بقلبها..

وانحنت إلى الأرض وقد جحظت عيناها وكتمت أنفاسها .. ثم شهقت شهقة خافتة ، ورفعت رأسها وقد تصلب وجهها وتاهت نظراتها ..

www.alkottob.com

أصبح عليها أن تغير دينها وتعتنق المسيحية .

وارتبك وهو بجانبها ، ولم يدر ماذا يقول ، ثم افتعل ضحكة جافة .. قائلا :

- هل صدقت ؟!! . لقد كنت أهزر إنها نكتة أردت أن أسليك بها .. لا تأخذينها على محمل الجد .. إن الإنسان لا يقامر بدينه ، وهذا نوع من القمار ..

قالت وهي لاتزال ساهمة :

- إنه القدر .. والحب قدر !! ..

- لا .. لن أسمح لك ..

- لا تتعب نفسك .. لقد قررت ..

- قل لي .. هل كنت تشهر إسلامك لو رفضت أنا أن أعتنق المسيحية ؟!

ولم يجب ، ولكنها لمحت دموعه في عينيه .. دموعا تشهد على حبه ، وتقسم بجميع الأديان أنه لها .. فانكفأت على صدره تبكي .. وجمعتهما الدموع في دين واحد ..

www.alkottob.com

ولم تنم ليلتها ..

ولم تحس بالإسلام وبأنها مسلمة .. قدر ما أحست هذه الليلة .. بل خيل إليها أن كل حياتها وكل ذكرياتها كانت كلها للدين .. أشياء صغيرة مرت بها ولم تكن تذكرها أصبحت تذكرها وكأنها قطعة من حياتها .. الحاجة أم ابراهيم مربية والدها التي تأتي لزيارتها كل أسبوع لتبخر البيت ثم تطوف فوق رأسها بالمبخرة وهي تقرأ الأوراد وتتلو الأدعية .. وأم عبده (الماشطة) التي كانت تدخل معها الحمام في صغرها وتدلك جسدها البكر وهي تسكب فوقه الماء الساخن ، وتتمتم (اللهم صلي عليه وسلم .. قل أعوذ برب الفلق من شر حاسد إذا حسد) .. وزيارتها (للقرافة) لتقرأ الفاتحة .. وصوت المقرئ الذي ينبعث من الراديو ويتلو القرآن وقسمها بالنبي في كل مناسبة .. أي نبي تقصد عندما تقسم اليوم ؟!! ..

إنها مسلمة ولم تكن تدري أن الإسلام يعيش في حياتها إلى هذا الحد .. إنها لا تصلي ولا تصوم ، ولكن هناك من الإسلام شيء أكثر من الصلاة والصوم ، شيء يختلط بدمها ،

www.alkottob.com

ويتردد مع أنفاسها ولم تكن تحس به لأن الإنسان لا يحس بدمه ولا يعد أنفاسه ..

وكادت تجن ..

يارب .. لماذا لم توحد الأديان .

يارب .. وإذا كانت هذه إرادتك فما ذنبي أنا !!

وقامت في الصباح مقرحة الجفنين ، كأنها أفاقت من إغماء .. وذهبت للقائه ، وصحبها إلى قسيس ليسألاه عن الإجراءات المتبعة .. وكانت تسير بجانبه صامتة ، متصلبة العود ، شاردة النظرات كأنها آتية من عالم آخر .. وكانت تسمع صوته وكأنه آت من بعيد .. من بعيد جدا .. ولا تجيب عليه إلا بهزات رأسها وكأن الناس في هذا العالم الذي أتت منه ليس لهم ألسنة ..

ونظرت إلى القسيس دون أن تراه وخيل إليها أنها أمام عملاق ضخم مجلل بالهيبة .. وأن رأسه كبير .. كبير جدا .. وذقنه سوداء تتدلى حتى ركبتيه .. ولم تسمع شيئا مما كان يقوله الرجلان وهي بينهما .. إنما شردت عيناها تطوفان

www.alkottob.com

بالغرفة ، ثم سقطت فوق لوحة معلقة بالجدار .. ولمحت شيئا مكتوبا على هذه اللوحة .. حروفا لا تستطيع أن تلتقطها بعينيها الشاردتين ، إنما هي تهتز وتتموج كأنها حروف مكتوبة فوق الماء ..

وأجهدت عينيها ودققت النظر ، وحصرت ذهنها ، إلى أن اتضحت الحروف أمامها ..

وقرأت : الله محبة ..

وابتسمت ابتسامة باهتة .. ثم ابتسم وجهها كله .. وارتخت أعصابها المتصلبة ، وارتاحت عيناها الشاردتان ..

وأحست أن قلبها يهلل ويضحك ويملأ الدنيا كلها ضحكا .. إن الله محبة .. الله الحب ..

إذن فهي مع الله ، لأنها تحب ، ولأنها هنا من أجل الحب .. والتفتت إلى القسيس لتراه لأول مرة .. وخيل إليها أنه جميل .. وجميل جدا .. أشبه بكيوبيد إله الحب الذي يصورونه في الكتب ..

www.alkottob.com

اقترب منها القسيس وربت على كتفها بيد حنون وهو يقول في صوت كأنه نغم مزمار .. مزمار داود : (بارك الله لك يا ابنتي) !

وطأطأت رأسها وقد استبدت بها السعادة حتى خجلت منها .. ثم انصرفت مع فتاها ..

وسألته وهما في الطريق :

- إلى أين ؟

- إلى المحكمة الشرعية ..

- لماذا ؟ ..

- ألم تسمعي ما قاله القسيس !!

- لا ..

- إنك لا تستطيعين أن تغيري دينك لأنك لم تبلغي سن الرشد بعد ..

- وما العمل ؟ ..

- سأعتنق أنا الإسلام ..

www.alkottob.com

وتعلقت بعنقه وأخذت تقبله في جميع أنحاء وجهه ..

وقال وهو يقود سيارته :

ـ هذه المرة .. إنه القدر ! ..

وتم إشهار إسلامه .. ولم يكن الأمر لديه يتعدى مجرد شكليات يفرضها عليه المجتمع ، ومجرد ورقة يوقعها إرضاء للحكومة .. إن ما بينه وبين الله في قلبه وفي سريرته لا شأن للمجتمع ولا للحكومة ولا للمشايخ ولا للقسس به . والله ليس في حاجة إلى هذه الإجراءات ليعرف إيمانه، وهذه الإجراءات أيضا لن تبدل شيئا مما بينه وبين الله ..

أشهر إسلامه وهو لا يشعر بشيء إلا شعورا أشبه بالتحدي .. تحدي قومه وتحدي قوم فتاته .. وربما ارتجفت شفتاه وهو يتلو الشهادتين ، وربما ارتعشت يده وهو يوقع الأوراق ، ولكنه كذب رجفته وأنكر رعشته وأقنع نفسه بأنه يؤدي واجبا يفرضه عليه النبل ، والشهامة ، والحب .. وكلها صفات من صفات الله ..

www.alkottob.com

وكان عليه بعد ذلك أن يذهب إلى شقيق الفتاة ليخطبها منه إلى نفسه .. وكانت هذه الخطوة أصعب عليه من تغيير دينه .. بل إنه لم يحس أنه قد خرج عن دينه إلا وهو جالس إلى شقيق الفتاة كالتلميذ المرتبك أمام لجنة الامتحان .. يحاول أن يتذكر كل ما اختزنه في رأسه فلا يذكر منه شيئا .. وقال الأخ الكبير في هدوء :

- إني لا أستطيع أن أعترض ، فأنت تملك جميع صفات الزوج الكامل ولكن .. وسكت الأخ قليلا ، وتعلقت أنفاس الفتى بشفتيه ..

- هل تجيبني بصراحة لو سألتك ؟! ..

- سأحاول ..

- هل أشهرت إسلامك إيمانا منك بالإسلام ، أم لمجرد الزواج من شقيقتي .

وسكت الفتى طويلا .. واحتقن وجهه .. وأخذ يضغط بيده على الأخرى .. ثم قال وهو يختار كلماته بدقة حتى لا

www.alkottob.com

يخطئ ، وكأنه يختار مواضع قدمه في طريق مليء بالأشواك:

- الواقع أني لم أكن متدينا أبدا .. كنت قبطيا بالوراثة ، وكنت أشترك في القليل من مراسم الدين بحكم العادة وبحكم وجودي بين أفراد عائلتي .. ولكني لم أحاول أبدا أن أعي الديانة وعيا كاملا أو أؤمن بالدين إيمانا منفصلا .. إنما كنت دائما أؤمن بالله إيمانا مطلقا مجردا ، وأخافه ، وأتقي غضبه . وكنت أؤمن بالصدق والأمانة وبقية المثل العليا دون أن أربط هذا الإيمان بالدين .. فإذا كان هذا حالي وأنا قبطي ، فلا تنتظر مني أن أقول أني أؤمن بالإسلام كدين مفضل ، بل إني أؤكد لك أني لا أعلم من الإسلام إلا أنه دين سماوي .

- إذن فأنت لا تؤمن بالإسلام .. ولا بالمسيحية !!

- إني أؤمن بالله .. وكل الأديان لله !!

- إن الإيمان يحتاج إلى قواعد يرسو عليها ، وإلى خطوط تحدده حتى لا يكون إيمانا مائعا يخضع لهوى النفس ولأطماع البشر .. والله عندما فرض علينا الإيمان به فرض علينا أيضا صور هذا الإيمان وتفاصيله ، وربط نواصيه

www.alkottob.com

ربطا محكما حتى لا يترك فيه ثغرة يدخل منها المجادلون وبصحبتهم الشياطين ليضللوا العباد باسم الله سبحانه وتعالى..

- إني أحسدك على إيمانك ، وهو نوع من الإيمان يحتاج إلى قوة روحية لا أملكها .. ولكني لا أريد أن أتزوج شقيقتك في الآخرة ، إنما أريد أن أتزوجها في الدنيا .. والدنيا لا تتطلب مني كشرط لزواجها إلا أن أكون قادرا على إسعادها ، فاكتف بهذا وأنت تحاسبني ، ودع الله يحاسبني على الباقي .

- إن الإيمان شرط لحياة الدنيا وحياة الآخرة .. والله يحاسبك في الدنيا والآخرة .. وأنا أحاسبك باسم الله ، وبكتاب المسلمين وكتاب الأقباط ..

- إني أحبها .. والله مع الحب !

- إن الحب إيمان .. والإيمان يبدأ بالله والدين !

- إن الله جمع قلبينا ، وأنت تريد أن تفرق بيننا .. إنك تتحدى الله .

- أستغفر الله .. ولو كان الزواج هو مجرد الجمع بينكما ، لتركتكما لله يصدر لله يصدر فيكما حكمه .. ولكن الزواج

www.alkottob.com

هو الأولاد وهو المجتمع .. وأنا لا أستطيع أن أغمض عيني عن جريمة ترتكب في حق أولاد لم يولدوا وفي حق المجتمع .. تصور أولادك عندما ينشأون وهم لا يدرون إن كانوا مسلمين أو أقباطا .. لا يعرفون نبيا يقدسونه ، ولا يعرفون قديسين وأولياء يتشبهون بسيرتهم ، ولا يسمعون هذه القصص الدينية التي تبدو ساذجة ، ولكنها تترك في نفوس الأطفال خطوطا عميقة تنمو معهم وتصون مبادئهم ، ولا يمارسون هذه التقاليد والطقوس الدينية التي تبدو فطرية تافهة ولكنها تحيط القلوب الصغيرة بأغلفة من السمو الروحاني وتقطر فيها الإيمان قطرة فقطرة حتى تصبح قلوبا كبيرة محصنة أمام الشر وأمام الخطيئة ..

وسكت الأخ الكبير كأنه يقيس وقع كلامه على الفتى ، بينما الفتى منكس الرأس يدق الأرض بقدمه دقات خفيفة متوالية كأنه لا يريد مزيدا من الكلام ..

واستطرد الأخ قائلا :

- انظر إلى نفسك، إنك فتى صالح . أتدري سر صلاحك وقوة خلقك ؟ إنهما في طفولتك وفي نشأتك .. لقد نشأت وأنت

www.alkottob.com

تعرف دينك ، وتعرف نبيك ، وتربت مخافة الله معك ، وشربت الصدق والإخلاص وبقية المثل العليا مع لبن أمك ، حتى لو أنك اليوم تنكر الدين ، وتنكر تفاصيله ، وتنكر طقوسه .. إني أريد أولاد أختي أن يكونوا مثلك ومثلي ، لا اريدهم حيارى بين أم تؤمن في قرارة نفسها بالإسلام ، وأب يؤمن في قرارة نفسه بالمسيحية ، وكل منهما يخاف أن يفصح عما في قرارة نفسه خوفا من إغضاب الآخر ، وكل منهما يخاف أن يروي لأولاده قصص دينه ، ويمارس أمامهم تقاليده وطقوسه .. ثم المجتمع ، و..

وقاطعه الفتى وهو يصفع ركبته بكفه في حركة عصبية:

- يبدو أننا لن نتفق ، وقد كدت أيأس .

- خير لك أن تيأس .

- إذا ، فلن توافق على الزواج ..

- وسأمنعه بكل ما فيّ من قوة ..

- وتتركنا للعذاب !!

- إني أوفر على أختي عذابا كبيرا ..

www.alkottob.com

- وتظن أن الله يرضى عنك ؟

- إني أتقي غضب الله

وانتفض الفتى واقفا ، ومد يدا باردة إلى الرجل ، ثم اتجه نحو الباب .. وفي البهو الخارجي التقى بالفتاة واقفة وبين عينيها سؤال متلهف ، قرأت جوابه في وجهه المربد وعينيه الغاضبتين وشفتيه المزمومتين حتى كادتا تختفيان من وجهه .. فشهقت ووضعت كفها فوق شفتيها حتى تكتم شهقتها وارتفعت في عينيها نظرة فزع وألم كأنها رأت قلبها يذبح أمامها ..

ووقف الفتى قبالتها برهة ، ينظر إليها ولا يتكلم ولا يمد لها يدا .. ثم نقل عينيه إلى أخيها .. ثم خرج ! ..

وفي الليلة نفسها صحب الأخ شقيقته إلى عزبته ومعها دموعها .. وهناك مرت بها الأيام وهي في كل يوم تفقد شيئا من نفسها حتى خيل للناس أنها فقدت عقلها ..

جفت حتى أصبحت كعود الحطب لا يرويه ابتسام ولا ترويه دموع .. وشرد كل ما فيها حتى لم يعد فيها شيء .. لم

www.alkottob.com

تعد تتكلم ، ولم تعد تسمع شيئا مما يقوله لها أخوها ، ولم تعد تحس بجوع أو بشبع ، ولا بظمإ أو ارتواء ، ولم تعد تقف أمام مرآتها ، أو تضع الطلاء على وجهها ، أو تمشط شعرها ، أو تبدل ثوبها .. أصبحت كيانا مذهولا يطوف كالخيال بين أربعة جدران ..

ولم يعد فيها إلا شيء واحد علامة الحياة .. عيناها .. كان فيهما دائما بريق خاطف وكانت دائما مفتوحتين ، وكانتا دائما تبحثان عن شيء .. ربما شيء في عقلها أو شيء في قلبها أو شيء وراء الحياة ..

ثم بدأت تميل إلى امرأة معينة من نساء العزبة .. تدعوها دائما إلى صحبتها ولا تتناول شيئا إلا من يدها ، ولا تتكلم إلا معها .. وأحبتها المرأة ، وحنت عليها ودللتها ، وأخلصت في خدمتها ..

وجلست يوما تكتب خطابا .. خطابا قصيرا .. بضعة كلمات مرتعشة :

(حبيبي ..)

www.alkottob.com

(لم أعد أحتمل . إني أحس بالجنون يزحف فوق صدري .. سأذهب إلى الله .. ربي وربك .. ربما التقينا هناك !) .

وأعطت الخطاب إلى المرأة لتلقيه في صندوق البريد خفية من أخيها .. ثم أرسلتها بعد يومين لتقف عند باب العزبة في انتظار موزع البريد ، ربما يأتي إليها برد ..

وجاءها الرد .. قصيرا .. بضع كلمات مرتعشة :

(حبيبتي ..)

(لا تذهبي وحدك .. انتظري ، سأذهب معك .. أخبريني كيف تذهبين ومتى تذهبين .. التاريخ والساعة بالضبط ، حتى نصعد سويا فلا يضل أحدنا طريقه إلى الآخر .. إن الله موافق على زواجنا والملائكة يعدون حفل الزفاف ..) .

وفي يوم معين في ساعة معينة ، ارتفعت صرختان من ألم في وقت واحد .. إحداهما في عزبة شكري بكفر صقر والثانية في شارع شيكولاني بحي شبرا ..

وخرجت سيارة من عزبة شكري تطوي الأرض نحو المركز لاستدعاء طبيب ، وكان الطريق طويلا والطبيب

www.alkottob.com

متكاسلا ، وعندما عادت به السيارة إلى العزبة ، كانت الصرخة قد سكتت .. إلى الأبد !!

واستدعي الطبيب القريب في حي شبرا فجاء سريعا .. واستطاع أن يطرد الموت من حول الفتى وأن يسترد السم من أمعائه قبل أن يفتك بها ..

كانا قد اتفقا على كل شيء .. اليوم ، والساعة ، ونوع السم .. ولم يبق أمامهما إلا الزفاف في السماء ..

ولكن الله أرادها وحدها .. وتركه في الدنيا وحيدا مع عذابه في انتظار زفافه إليها .. إنه يعيش منذ عامين يستجمع شجاعته ليحاول اللحاق بها مرة أخرى .. والطريق صعب ، وقد جربه مرة ، وذاق أوله ، فلم يستطع أن يجربه مرة أخرى..

إنه يعيش هيكلا متداعيا من ذكريات حبه .. هيكلا يضم من الروح نسمات هافتة .. ويضم من الموت فراغا كبيرا هائلا ..

www.alkottob.com

يعيش وهو ينثر العذاب من حوله .. فقد عرفت الفتيات القبطيات قصته ، وحاولت كل منهن أن ترد له الحياة وتبعد عنه الموت ، فلم تنل منه إلا أن تعذبت معه وبه .

ابعدوا عنه .. إنه معذب ينثر العذاب ! ..

ولكن .. أين الأخ الكبير الجليل ؟ ..

إنه يصلي !! ..

تمّت..،

www.alkottob.com

التعليق النقدي بقلم (Rajol) :

كاتبنا الكبير إحسان عبدالقدوس غنيٌّ عن التعريف بالطبع ، أعماله علامات خالدة في تاريخ السينما المصرية ، ولكن شيئا دعاني للتعليق على قصته بعنوان "الله محبة" ليس شيئا واحدا في الواقع ، بل لا أكون مبالغا حين أقول أن كل كلمة في هذه القصة العجيبة تستثير بداخلي أشياء وأشياء تدفعني دفعا إلى التعليق عليها .. ولست أزعم أن لديّ ما يؤهلني للنقد الأدبي ذي المنهج ، أو أنني بقامتي الضئيلة لدي من القدرة على أن أناقش ما أبدعه عمالقة بحجم إحسان عبدالقدوس ، ولكنه كما قلت ذلك الشيء الذي يستحثك على دفع الكسل ثم القيام للكتابة.

والقصة تلك لها معي قصص ! . ليست مجرد قصة عادية ، كانت مقررة عليّ في دراستي الجامعية ، وكلما حاولت أن أناقش أستاذي في أيٍّ من أفكارها لا أجد منه إلا الزجر ، ثم يحاول أن يفهمني أن مسألة نقد القصة تقوم على أسس ، بمعنى أن تنقد الحوار والشخصيات والخلق النفسي

www.alkottob.com

ومدى توفيق الكاتب في تأسيس البناء الفني عامة .. وغير ذلك .

والغريب أنني كنت لا أنزجر أو أنتهي ، كنت طالبا مشاغبا أنسى كل ما قاله أستاذي وأعود ثانية لأسأل حول الأفكار التي تمثل أطرا للعمل القصصي ، وبدوره يعود الأستاذ فينهرني مؤكدا أني لابد أن أفصل بين الأدب والدين بمعنى ألا أنقد الأدب من منظور ديني أو متأثرا بعاطفة الدين ، وهو مالم أستطعه أبدا ، فأنا على يقين جازم بأن الكاتب مسئول عن كل كلمة تخرج من أفواه الشخصيات ، وبأنه لم يضعها عبثا وإنما لغرض ، كمسئوليته عن البناء الفني تماما ، ولم لا .. أليس هو مبدعها ؟! ، لكني أيضا أعرف أن الأديب الألمعي هو الذي يوصل رسالته دون أن يُظهر رأيا مباشرا ، ودون أن يتدخل تدخلا صادما في الحوار مما يجعل القارئ يعيش واقع الشخصيات ويندمج في القصة إلى أقصى حد وكأنه جزء من أحداثها .. لا بأس ! ، والعكس إذا صدمك الكاتب بفرض رأيه فإنه يجعلك تنفر مما تقرأ .

www.alkottob.com

واختصارا أبرز تعليقي على القصة في النقاط التالية :

١. أستطيع أن أؤكد بضمير مستريح أن كاتبنا أراد أن يوجه لكمة في صورة سؤال أدار حوله قصته ، هذا السؤال هو مضمون الحكاية وحبكتها "ماذا لو وقع المحظور وارتبطت فتاة مسلمة بشاب مسيحي بعلاقة حب قوية ؟" .

هذا هو السؤال الكبير الذي أراد كاتبنا أن يواجه به المجتمع وهو متأكد أن أحدا لن يرد عليه لأن السؤال ليس له إجابة على الأرجح ، ولكن نقول ردا على هذا السؤال أن الحياة مراتب وهي قائمة على الأولويات ، ولنتفق على أن الإنسان العاقل هو الذي يوازن بين المصالح والمفاسد فيقدم المصلحة على المفسدة ، وكذلك يفاضل بين مصلحتين يختار أنفعهما ، وبين مفسدتين يتقي أكثرهما ضررا ، وكذلك الحال في موقفنا أن يقدم إيمانه بالله على هواه ، وإن قيل إن الشابين قد وصلا إلى مرحلة لا رجعة فيها ، نتساءل كيف وصلا أصلا إلى هذه الحال ثم جلسا مفكرين يندبان حظهما ، لماذا – وهو الطبيعي في الحالات العادية – لم يستخدما نوعا من أنواع الكوابح النفسية تمنع وصولهما إلى العقدة ، ألم يدركا

www.alkottob.com

منذ البداية منذ أن تعارفا استحالة الارتباط من كل الأوجه شرعا وعرفا وقانونا ، لم استسلما للغوص في المشاعر هكذا دون رادع من عقل أو وازع من إيمان ، حتى الانقياد للحب هكذا بين طرفين في الظروف العادية ترفضه كل الأديان والأعراف ، طالما أنهما لم يرتبطا ارتباطا مشروعا يقر لهما ذلك .

مما سبق نستطيع أن نؤكد أن حالة الشابين نوع من الفانتازيا لا يمكن أن تحدث حقيقة في مجتمع شرقي محافظ كمجتمعنا .

وهناك جانب آخر أكثر غرابة ، شخصان وصلت درجة تبلد إحساسهما إلى أنهما صارا يحتكمان إلى قطعة نقود معدنية في تحديد أيهما يغير ملته .. أيُّ عبث هذا ؟!! ، وإذا سار الأمر على هذه الشاكلة مدعين الإيمان بالله على أي وجه وملة وهما أصلا لا يمارسان أية طقوس دينية ، فلماذا إذا الحرص على الارتباط الرسمي .. ما الذي يمنعهما من الهروب والعيش معا وقضاء الوطر بعيدا عن أعين الناس ، إن كانت قضية الإيمان بكاملها تنحصر في التصديق القلبي

www.alkottob.com

وهو العنصر الوحيد المتوفر لهما لما كانت هناك مشكلة ، بل إننا من الغد نسعى إلى تنفيذ دعوة توحيد الأديان أو الدمج بينها لخلق دين جديد بطقوس جديدة تناسب الجميع ، ونريح أنفسنا من المبادئ والقيم وكل تلك الترَّهات ! ، إن الجميع يعلم بالتأكيد أن الإيمان لا يقتصر على التصديق القلبي وإنما لابد لاكتماله من تصديق اللسان والعمل بالأركان .

٢. ليجد الإجابة على سؤاله الكبير استضاف أديبنا ممثلين أحدهما للمسيحية والآخر للإسلام ، ووضعهما جنبا إلى جنب فيما يشبه جدولا للمقارنة من حيث درجة التسامح والتعصب ، ممثل المسيحية ذو منزلة دينية رفيعة جاهد أديبنا ليضفي عليه لمسات سحرية من الهيبة والوقار والعلم والتسامح والتواضع حتى عندما أعلن رفضه دخول البنت في المسيحية أوجد الكاتب له عذرا منطقيا بأنها لازالت قاصرا حتى لا يتهم القس في النهاية أنه أحد أسباب المأساة ، بل هو رجل يعمل لإرساء دعائم الحب في نفوس بني البشر ، حتى مشهد إعلان رفضه لدخول الفتاة في المسيحية اقتصه الرقيب أو الأديب ، وجعل التصريح بذلك على لسان الفتى بعد

www.alkottob.com

مغادرتهما للقس ، وآخر مشهد لممثل المسيحية ظهر فيه وهو يربت على كتف الفتاة باسما يدعو لها بالبركة .. ياللتسامح !

على الجانب الآخر كان ممثل الإسلام – أخو الفتاة – شابا عاديا جاهد الكاتب ليضفي عليه أمارات التخلف الفكري والجهل والصلف والتعصب ، ليجعله في النهاية سببا وحيدا رئيسيا للكارثة برفضه للزيجة ، والحق أنه نجح في ذلك إلى حد بعيد ، فقد نالت شخصية الشاب هذه أكبر قدر من اللعن على لسان أستاذي في الأدب ، ونعته بشرّ النعوت معتبرا إياه رمزا للتعصب الأعمى والجدال بغير حق وعلى غير أساس .

٣. كان هناك أكثر من حل للعقدة يستطيع الكاتب أن يلجأ إليه ، بدلا من أن يتعمد وضع هذه النهاية الأليمة ، فكم رأينا في أفلامه السينمائية أن حل العقدة تم بهروب البطلين بعيدا عن الأشرار .. وكان يمكن هنا أن تحل هذه العقدة بنفس الطريقة ، طالما أن البطلين مقتنعان برأيهما ويريان أنه الصواب .. ولننظر وقتها كيف سيواجهان المشكلة الكبرى ، مشكلة تربية الأبناء .. عندما يفكر الإنسان في ذلك يحمد الله على نعمة التشريع ، إلام سيحتكم هذان عندما تحدث بينهما

www.alkottob.com

مشكلة .. لا شك أن الخالق وحده أعلم بمصلحة خلقه ، ثم لنسأل هذا الذي يزعم الإيمان دون الإلتزام بمنهج تشريعي كيف كنت ستعرف الله دون أن ينزل إليك هذا المنهج ، على أي أساس نسن القوانين ونكتسب يوما بعد يوم الطابع الحضاري من دونه ، كيف كان حال الأقدمين الذي كانوا يؤمنون بالله دون تشريع .. لا زلنا إلى الآن نسمي عصرهم بالعصر الجاهلي .

٤. أكثر ما أثار دهشتي، أن يبرز الأديب رأيه الشخصي واضحا صريحا هكذا في نهاية القصة فارضا إياه على القارئ ، وكنت أتصور أنه سيترك الحكم للقاريء يتأمل في القصة ويراجعها أكثر من مرة ليستكشف بنفسه أسباب الكارثة ، ولكنه فضل أن يريح القارئ من كل هذا العناء ، وأن يصرح في النهاية بأن الأخ هو سبب الكارثة بتزمته وجهله ، وهو مسلك غريب في الكتابة الأدبية .. ربما يُخرج العمل بالكامل من إطار القصة ويدرجه في إطار المقال التمثيلي ، فالمفترض أن الأديب يبذل قصارى جهده كي يقنع القارئ بواقعية قصته ، وبأن الأخير جزء منها يعيشها لحظة بلحظة ، لا أن يطرده منها هكذا .

www.alkottob.com

- وختاما أقول .. نحن بفضل الله نعيش عصرا اتفقت فيه طوائف الشعب المصري على احترام الأديان والتشريعات السماوية .. وبالرغم من حرية التعبير إلا أن هناك خطوطا حمراء يحترمها الكتَّاب فلا أحد يتهجم على الشرائع هكذا ، ولم يعد أحد يتعمد إثارة مثل هذه النعرات أو الفتن .. مثل هذه الأفكار الهدامة لم يعد أحد يلجأ إليها ، فمن الممكن جدا أن يستغل أحدهم قضية الطلاق في المسيحية وينسج حولها أقصوصة محاولا خداع القارئ وموهما إياه بعجز الدين عن الوفاء بمتطلبات أهله ، ماذا لو قام أحد الأدباء وشرع يكتب قصة تدور حول هذا السؤال : " زوجان مسيحيان استحالت بينهما العشرة .. كيف يتصرفان ؟ " ثم يحاول أن يبرز تعصب التشريع المسيحي في تحريم الطلاق ويذم الكنيسة لأجل ذلك ، ويبالغ في وصف الحياة المريرة التي يعيشها الزوجان حتى نرثى لحالهما .. وفي المقابل يقوم بإبراز سماحة التشريع الإسلامي الذي أحل الطلاق ، لم يعد أحد يستغل مسألة تعدد الزوجات أو قرارها في بيت زوجها من أجل التدليل على مكانة المرأة وربط ذلك بالدين .. لم يعد أحد يفعل ذلك سوى المرضى ! ، نعم .. لم نعد في أدبنا نعبث بتلك

www.alkottob.com

الأوتار ، وقد تحولت المناقشات الدينية هذه إلى ساحات بعيدة عن الأدب مجالها علم مقارنة الأديان .. فهل تحول إحسان من الأدب إلى دراسة علم مقارنة الأديان فجأة ؟!!

أكتفي بهذا القدر ، وإن كنت لم أُخرج نصف ما يعتمل داخلي بصدد القصة ، وقد حاولت قدر الإمكان أن أركز على الجوانب النقدية في تناول العمل القصصي .. أتمنى أن أكون موفقا في ذلك.

تمّ..،

www.alkottob.com